فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

المجلد السابع
العدد الخامس والعشرون

مارس 2019

ردمد ISSN 2335-1071
E-ISSN 2602-5922

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

الرئيس الشرفي للمجلة

أ.د. بلفضل شيخ

مدير جامعة ابن خلدون . تيارت

مدير المجلة

أ. د. داود امحمد

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

المدير المسؤول عن النشر: أ.د. زروقي عبد القادر

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

المحررون المساعدون:

الأستاذ الدكتور: زروقي عبد القادر، جامعة ابن خلدون تيارت

الأستاذ الدكتور: داود امحمد، جامعة ابن خلدون تيارت

الدكتور: فايد محمد، المركز الجامعي تسمسيلت . الجزائر

المراجعون:

أ.د. زروقي عبد القادر	أ.د. داود امحمد
أ.د. إبراهيم عبد النور	أ.د. مصابيح محمد
د. بوشريحة ابراهيم	د. درويش أحمد
د. مكيكة محمد جواد	دة. قوتال فضيلة
د. موفق عبد القادر	د. دبيح محمد
د. معازيز بوبكر	د. عدة قادة
دة. أحمد الحاج أنيسة	د. شيهان رضوان

دة. بلمهوب هند

الهيئة العلمية الإستشارية

أ.د. طيب بن جامعة . ج. تيارت . الجزائر	أ.د. بشير بويجرة محمد . ج. وهران . الجزائر
أ.د. بوهادي عابد . ج. تيارت . الجزائر	أ.د. عبد السلام محمد الشاذلي . بنها . مصر
أ.د. عباس محمد . ج. تلمسان . الجزائر	أ.د. مرتاض عبد الجليل . ج. تلمسان . الجزائر
أ.د. حسن البنداري . عين شمس . مصر	أ.د. سطمبول الناصر. ج. وهران . الجزائر
أ.د. إبراهيم عبد النور . ج. بشار. الجزائر	أ.د. دراوش مصطفى . ج. تيزي وزو. الجزائر
أ.د. بوحسن أحمد . المغرب	أ.د. بوعرعارة محمد . م. ج. تسمسيلت . الجزائر
أ.د. فيدوح عبد القادر. ج. قطر	أ.د. حسن نعمي . المملكة العربية السعودية

أ.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي . ج. الفلوجة . العراق

الفهـــــــــــرس

ـ كلمة رئيس التحرير.....05

ـ أسئلة النقد وأجوبة البلاغة في التراث العربي، قراءة في مراجعات عبد القاهر الجرجاني.

(بشير دردار).....07

ـ حجاجيَّة الأسلوب الخبري.

(محمد سعيد محفوظ عبد الله).....25

ـ السلالم الحجاجية في كتاب "أطواق الذهب في المواعظ والخطب"للزمخشري، مقاربة تداولية.

(الضاوية لسود).....35

ـ مبدأ القصدية التداولي في خطاب آيات التوحيد في القرآن المجيد.

(سارة كاظم عبد الرضا، علي خليف حسين).....51

ـ منهج ابن الزبير الغرناطي في توجيه الفعلين المتقاربين في المعنى، من خلال كتاب "ملاك التأويل" دراسة تحليلية موازنة.

(محمد فاضل صالح السامرائي).....67

ـ معيارية النقد اللغوي، قراءة في التراث النقدي العربي.

(رزايقية محمود).....89

ـ سيميائية العنوان في الخطاب الشعري، ديوان "تحت ظلال الزيتون" لمفدي زكرياء، نموذجاً.

(بوعافيّة منال، سيدي محمّد بن مالك).....103

ـ الكتابة النسوية، استراتيجية الاختلاف.

(محمد بولخراص).....127

ـ أنماط الصيغ السردية ووظائفها في المتن الحكائي لروايات الأديب الأزهر عطية.

(عباد عبلة).....139

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله

في مجلدها الجديد وعامها السابع وعددها الخامس والعشرين يأتي هذا الإصدار من مجلة فصل الخطاب ليضرب موعدا جديدا لقرائه مع ثلة من الباحثين من خلال مقالات علمية رصينة خضعت لشروط التحكيم.

ولقد تنوعت مقالات هذا العدد بين نقدية وبلاغية ولغوية وسردية، مع غلبة الصبغة التداولية والحجاجية استجابة لخط المجلة العلمي، وما كان هذا التنوع في المقالات إلا لإشباع رغبات القراء على اختلاف توجهاتهم البحثية.

وقد إذا كان بحث "أسئلة النقد وأجوبة البلاغة" منشغلا بتقديم مساءلة للمدونة النقدية حول قضايا تتمحور حول استقلالية النقد كحقل تخصصي وإسهام البلاغة في بناء أطروحته، فهو غير بعيد عن البحث البلاغي حيث سعى بحث "حجاجية الأسلوب الخبري" إلى الربط بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة والربط بين الأسلوب الخبري والحجاج والتأكيد على حجاجية هذا الأسلوب، وفي المسلك نفسه حاول بحث "السلالم الحجاجية في كتاب أطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري مقاربة تداولية" الحفر في النص التراثي من خلال رصد توظيف الزمخشري للسلم الحجاجي قصد إقناع متلقيه ضمن القوانين الحجاجية.

ليأتي بحث "مبدأ القصدية التداولي في خطاب آيات التوحيد في القرآن المجيد" ليقف على مبدأ من مبادئ العرب في كلامها وشرط من شروط اللسان العربي الفصيح والكشف من خلاله عن مكنون أسرار الخطاب القرآني.

وضمن البحث التراثي الأندلسي اللغوي جاء مقال "منهج ابن الزبير الغرناطي في توجيه الفعلين المتقاربين في المعنى من خلال كتاب ملاك التأويل" ليقف على الأفعال المتقاربة في معانيها واختصاص بعض الآيات بهذا الفعل دون غيره مما يقاربه في المعنى ومنهج ابن الزبير في التوجيه المعنوي للأفعال المتقاربة من خلال قراءة استقرائية تحليلية.

وفي سياق النقد اللغوي يأتي بحث "معيارية النقد اللغوي، قراءة في التراث النقدي العربي" هو الآخر ليؤكد على أهمية النقد اللغوي بالنسبة للأثر الأدبي من خلال زاويتين

مختلفتين الأولى من جانب الصحة والخطأ، والثانية من جانب الجودة والرداءة ليتحقق بذلك تعاضد اللغوي والفني في النقد.

أما موضوع "الكتابة النسوية، استراتيجية الخلاف" فيقف الباحث في على رصد السعي الذي اضطلعت به الروائية العربية خصيصاً لإثارة موضوعات متصلة بالمرأة تميزها عن الكتابة الذكورية، وبه تصبح المرأة أكثر وعيا بذاتها ووفاء لقضيتها بفصل المدونة السردية العربية.

كما كان للنص الأدبي الجزائري الحديث حظه من الدراسة في هذا العدد من خلال مقالين اثنين، جاء أولهما بعنوان "سيميائية العنوان في الخطاب الشعري ديوان تحت ظلال الزيتون لمفدي زكريا" ليقف على أثر سيميائية العنوان في الدراسات النقدية للأعمال الأدبية حيث يعتبر العنوان من أهم العتبات الرئيسية لفهم السياقات النصية وذلك من خلال تسليط الضوء على نص للشاعر الجزائري مفدي زكريا، فيما جاء الآخر بعنوان "أنماط الصيغ السردية ووظائفها في المتن الحكائي لروايات الأزهر عطية" باعتبار هذا الأخير المقصود بالدراسة كاتبا وشاعرا جزائريا يمكنه الوقوف على مدى توظيفه لهذه الصيغ وعلاقتها بالأحداث والشخصيات.

هكذا أردنا لهذا العدد أن يفتح آفاقا بحثية جديدة توسِّع من رؤية متتبعي مجلتنا، آملين أن تُقدَح الأفكار لتثري أبحاثا ودراسات مستقبلية، إذ لا حدود بين أي باحث كان ـ وطنيا أو دوليا ـ ومجلتنا، فأبوابها مشرّعة لكل بحث جدي يحركه هاجس المعرفة.

والله من وراء القصد والموفِّق إلى ما فيه صلاح السبيل

رئيس المجلة

الأستاذ الدكتور: داود امحمد

السلالم الحجاجية في كتاب
"أطواق الذهب في المواعظ والخطب" للزمخشري
مقاربة تداولية

الأستاذة: الضاوية لسود

جامعة تبسة ـ الجزائر

الملخص: تعمد المقاربة التداولية للخطاب إلى مراعاة كافة العناصر التي أسهمت في إنتاجه، بغية التوصل إلى غاياته، فلم تعد اللغة أداة التواصل وحسب بل تجاوزت ذلك إلى التأثير في المتلقي وإقناعه من خلال توظيف آليات حجاجية، تعد الوظيفة الحجاجية جزءا من اللغة وجوهرا فيها، ومنها السلم الحجاجي، الذي وظفه الزمخشريّ في خطاباته لإقناع متلقيه، وفق ما هو متوفر من روابط وعوامل حجاجية تندرج جميعها ضمن قوانين حجاجية لها دورها الفاعل في تصعيد الحجج وإثباتها للتوصل إلى نتائجها، وهو ما سنحاول توضيحه في هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: السلالم، أطواق الذهب، الزمخشري، مقاربة، تداولية.

Argumentative Scales in "Gold Hoops in Sermons and Discourses" Book of Zamakhchari: A Pragmatic Approach

Abstract :

The pragmatic approach of discourse depends on taking into consideration all the elements that contributed in its production with a view to reach its goals. Language is no longer just a communication tool in speech, but exceeded that to influence and convince the recipient through the use of argumentative mechanisms. The argumentative function is regarded as a part of the language and an essence in it, including the argumentative scale, which Zamakhshari employed in his discourses to convince his recipients. According to the available argumentative links and factors, falling all within the laws of argumentation, have an effective role in escalating arguments and evidencing them to reach the results. This is what we will try to clarify in the current paper.

Keywords: Ladders - gold hoops - Zamakhshari - approach - pragmatics

تمهيد:

تعددت نظريات الحجاج واختلفت، ويعود هذا لتباين منطلقاته الفكرية واللسانية والفلسفية التي تعمل على تحليله، ونحن بصدد الاهتمام بالجانب اللساني له، إذ تعتبر

تاريخ إيداع البحث: 18 جويلية 2018.

تاريخ قبول البحث: 30 مارس 2019.

اللسانيات منطلقًا مهمًا يُعول عليه كثيرًا في الاستقراء الحجاجي للخطاب، وعلى هذا الأساس ظهرت نظرية الحجاج في اللّغة وهو ما سيتم بيانه.

نظرية الحجاج في اللغة:

يعتبر حقل اللسانيات أرضية خصبة للعديد من المباحث العلمية، حيث تلعب البُنى اللغوية المحور الدوار الذي تلتف حوله معظم المقاربات البحثية في الحجاج، بحسب ما تُحققه هذه البُنى من توجيه الخطابات والتوصل بالمتلقي إلى الإذعان والإقناع والتأثير فيه، وهو ما يُعرف بـ "الحجاجيات اللسانية" فهي نظرية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنّه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها "إنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير"[1]، فنجد هدف الحجاج في هذه النظرية واضحًا وهو توجيه الخطاب وفق معطيات لغوية تتميّز بها كل لغة، وتضطلع من خلالها إلى النهوض بالوظيفة الحجاجية، إذ إنّها تطمح لتثبت وتؤكد أنّ "اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية **Intrinsèque**"[2].

ولا تتحقق هذه الوظيفة إلا بتشابك جملة من المعطيات التي تُشكل لنا المقاربة اللسانية التداولية للقول الحجاجي، فقد اهتمت هذه المقاربة بالحجاج كونه "ظاهرة لسانية نصية لا يمكن تفسيرها دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في أفعال الكلام، إضافة إلى الوقوف على عدد من العوامل والروابط الحجاجية باعتبارها أدوات لسانية، ثم تشريح السلالم الحجاجية داخل المنطوقات والأقوال، ويسعى هذا التحليل إلى صوغ قواعد ومعايير قراءة النص الحجاجي لسانيًا، بمساعدة علوم أخرى"[3].

ونلحظ ممّا تقدّم أنّ المقاربة التداولية اللسانية للخطاب تعتمد بالأساس على البنى اللسانية مرورًا بمعطيات أخرى تُسهم في تشكل الخطاب وتحديد وجهته الحجاجية، سواء كانت لغوية أم غير لغوية، ذلك أنّ "الحجاجيات اللسانية تقف عند حدود الخطاب ولا تتجاوزه إلى وقائع أخرى تتعلق بالمنتجين المفترضين لهذا الخطاب... وأحوالهم النفسية والاجتماعية وغيرها، فهذه الوقائع الخارجية لا تدخل ضمن اهتمام هذا التوجيه"[4]، ومنه فإنّ تحقيق التوجيه يعتمد حتمًا على البُنى اللسانية التي تحمل سمة الحجاج في طبيعتها، وهذه الفكرة هي الحجر الأساس الذي بنى عليه كل من أوزفالد ديكرو **Oswald Ducrot** وجون كلود انسكومبر **J. K. Anscombre** نظرية الحجاج في اللغة، وأوّل ما توصلا إليه تقديم تعريف للحجاج يخالفان فيه سابقيهم وورد هذا في مؤلف موسوم بـ"الحجاج في اللغة **L'argumentation dans la langue** "سنة (1980م)، وينطوي هذا العنوان على دعوة صريحة لرؤية الباحثين وهي أن مرد الحجاج هو اللغة، فهو سمتها الذاتية المتواجدة فيها، والوظيفة الأساس التي ينهض بها، وأمّا

وظيفة الإخبار -كما هو معروف سابقًا- ما هي إلا وظيفة لاحقة على الحجاج أي وظيفة ثانوية، وسلطة اللغة وقيمتها تظهر في الوظيفة الحجاجية أثناء إنجاز عمليتين هما: عمل التصريح بالحجة من جهة، وعمل الاستنتاج من جهة ثانية، سواء أكانت الحجة مصرحًا بها أم ضمنية(5).

يُشير لنا هذا البسط الوجيز إلى أنّ اللّغة تتضمن الحجاج إن كانت مصرحة بحججها، فهي تحمل حججًا ظاهرة جلية، أو كانت حججًا ضمنية غير ظاهرة وإنّما هي خفية، وأيّا كان نوع الحجة فإنّ تتابع (ق1) و (ق2) -حيث (ق) هي قول ما-تتابعًا صريحًا أو ضمنيًا يعني تتابع حجة مؤداها نتيجة ما وفق ما تسمح به البُنى اللغوية، وانطلاقًا من هذا يحمل الحجاج عند الباحثين في نظريتهما معنيين هما "المعنى العادي" و"المعنى الفني" وهي الرؤية التداولية للحجاج، فالحجاج بمعناه "العادي" يتشكل من خلال عرض الحجج وتقديمها بهدف التأثير في المتلقي، وغايته هي نجاح الخطاب.

والحجاج بمعناه "الفنيّ" يتشكل من خلال مجموعة العلاقات الخاصة المتواجدة في الخطاب والمدرجة في اللسان، فتظهر في السلم الحجاجي والتوجيه الحجاجي(6)، أيّا كان عاديًا أم فنيّا، فإنّ دعامته اللغة وغايته التوجيه، ولا يتأتى نجاحه من غير تنظيم وترتيب في عرض الحجج وترتيب للأقوال، من خلال توظيف اللغة توظيفًا سليمًا يسمح لها تداوليًا بتشكيل سلّم حجاجي، وهو مبحث مهم في هذه النظرية خصه الباحثون بالدراسة والتنظير والتفصيل في كتاب ثانٍ هو "السلالم الحجاجية **les échelle argumentative** "سنة (1983م)، نظرًا لتميّز تصورهما القائم حول الحجاجية في ذاتية اللغة، هذا التميّز مكنهما من إرساء أسس لنظرية السلالم الحجاجية، والتي لاقت اهتمامًا بالغًا عند الباحثين، وفيما يأتي بسط موجز لهذا المبحث:

السلم الحجاجي:

قبل عرض تعريفات السلّم الحجاجي من منظور اصطلاحي ارتأينا البحث في الجذر اللغوي لهذه المادة فنجد بعض الدلالات التي قد تظهر في الناحية الاصطلاحية.

جاء في معجم مقاييس اللغة في الجذر اللغوي (س ل م): "السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية؛ ... والسلم معروف وهو من السلامة أيضا؛ لأن النازل عليه يُرجى له السلامة"(7)، ومن هذا المفهوم نجد أن السلّم معناه السلامة والنجاة أثناء النزول عليه.

وفي "المعجم الوسيط" جاء معنى سلم: "ما يُصعدُ عليه إلى الأمكنة العالية، وما يُتوصل به إلى شيء ما... والجمع سلالم وسلاليم"(8)، وهذا المعنى المادي للسلّم الذي به نتمكن من الوصول إلى الأماكن العالية، فهو وسيلة لا محالة من استعمالها كي نصل إلى العلو.

ويظهر من دلالات هذه المادة أن السلّم يتضمن معنى السلامة والنجاة، ومعنى التدرج من خلال النزول من السلم أي أنه على درجات، وهو حال السلم الحجاجي كما سيأتي بيانه.

السلّم الحجاجي اصطلاحًا:

تظهر هذه الدلالات اللغوية في تعريفات السلم من منظور حجاجي؛ فكثيرًا ما تتضافر الحجج بغية الظفر بفكرة معينة، وما يلاحظ على هذه الحجج خضوعها للترتيب والتدرج، وهذا ما يشكل السلم الحجاجي، وهو حال السلامة حين نسلم من شأن ما.

ويعرف الباحث المغربي طه عبد الرحمن السلم الحجاجي بأنه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبية"[9]، وهذا يعني ضرورة تراتبية الحجج المدافعة عن فكرة ما، ترتيبًا يحقق نجاحها، على أن تكون هذه الأقوال تمتلك حجيتها، وفي هذا تتفاوت درجة وقوة كل حجة حتى تكون مرتبة حجاجيًا، كما يشترط طه عبد الرحمن وجود شرطين للسلم الحجاجي ويتمثلان في:

1- " كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم منه ما يقع تحته، بحيث يلزم من القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه"[10]؛ أي لا يمكن أن نطلق على مجموعة من الحجج المبعثرة وغير المحكمة والتي لا تتضمن الدفاع عن فكرة واحدة مصطلح سلم حجاجي، بل لابد أن تكون مرتبة بحسب قوتها وبروزها في القول.

2- "كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه"[11]؛ أي الحجج التي تدافع عن فكرة واحدة، أقواها ما كان أعلى مرتبة ممّا تحتها، فهي دليل على حجية الفكرة.

وتعد التراتبية سمة متواجدة في اللغة من خلال بنياتها اللسانية وأنظمتها التي تنبني عليها، ويظهر هذا في شكل سلمية (السلّم الحجاجي) وهو ما يؤكده موشلار في تعريفه للسلّمية "هي صفة ملازمة لعدة ظواهر ولاسيما اللغة التي وصفت بعض أنظمتها الدلالية والتداولية بكونها تراتبية؛ لأنها عولجت من خلال هذه الصفة وبها"[12]، ونفهم من هذا البسط أنّ السلّمية تنطلق من القوالب اللغوية المرتبة ترتيبًا متدرجًا وما يتوافق مع النظام اللغوي (الدلالي، ...)، كما تعرف في موضع آخر "وللتعريف نقول عن ظاهرة لسانية أو غيرها بكونها خصائص سلّمية إذا كان وضعها يستدعي على الأقل صلة علائقية متبادلة **correlatrelationnel** وتكون بينهما علاقة استلزامية، إنّ الصلات العلائقية المتبادلة بين الألفاظ تشكل ما يسمى بالسلّم **Echelle**، ويكون قائمًا على علاقة تراتبية بين الألفاظ"[13].

نستشف من هذا التعريف أنّ السلمية الحجاجية تقوم على استغلال العلاقة التراتبية المتدرجة كي تدافع عن فكرة ما، كما يتضح وجود التفاوت بين قوة الحجة وضعفها داخل السلمية الواحدة، ممّا يبرهن على التنوع في القول الواحد.

قوانين السلم الحجاجي:

يحكم السلم الحجاجي قوانين أبرزها ما يأتي:

1- قانون النفي (ويسمى أيضا قانون تبديل السلم): ويظهر مفهوم هذا القانون في القول الحجاجي حينما نجد حجة (ح) تبحث للوصول إلى النتيجة (ن) فإن نقيض الحجة (ح) هو نقيض للنتيجة (ن) بمعنى إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله[14]، مثل:

- زيد مجتهد، إنه نجح في الامتحان.

- زيد ليس مجتهدًا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإنّ قبولنا للمثال الأول هو نفسه قبولنا للمثال الثاني[15].

2- قانون القلب: هذا القانون هو "تفسير لقانون النفي الذي يراعي الخصائص المتصلة بالحجج التي تنتمي إلى سلم حجاجي، وهذا القانون (أي القلب) ينص على أن سلم الأقوال السلبية هي عكس سلم الأقوال الإيجابية"[16]، بمعنى أننا نجد في السلم الحجاجي أقوالاً مدرجة بحسب قوتها وضعفها، فـ (ق1) فرضًا هي حجة أقوى من (ق2)، معنى القلب هنا أن نقيض (ق2) يعد حجة أقوى من نقيض (ق1) . مثال:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى الدكتوراه.

- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على قدراته العلمية من حصوله على درجة الماجستير، في حين عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه[17].

3- قانون الخفض: مفاد هذا القانون أنه إذا "صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي يقع تحتها"[18]، مثال:

- سلمى مجتهدة في الرياضيات، لقد أنجزت المسألة صحيحة.

عندما نصدق هذا القول فإننا نصدق نقيضه المتمثل في:

- سلمى ليست مجتهدة في الرياضيات، لم تنجز المسألة صحيحة.

ويشير ديكرو إلى أنّ الحجج بمختلف أنواعها وتباين أنماطها تعرِف تراتبا يكون متسلسلا في الدرجة، بحيث يكون الحكم أو الاختيار من قبيل المعنى مؤسسين على درجتي القوة والضعف

وليس الصدق أو الكذب"[19]، وعليه نتوصل إلى أنّ درجة ضعف الحجة أو قوتها معيار لإثبات الحجاج في اللغة بغية إبرار قيمتها الحجاجية "التي لا نعتبرها نتيجة للمعلومات التي يسوقها الملفوظ فقط، ولكن يمكن أن تتضمن إضافة إلى ما فيها من إخبار؛ أي أن تتضمن أيضا مجموعة من المعطيات (مورفيمات، عبارات، وصيغا) من شأنها توجيه المتلقي وجهة حجاجية"[20]، وفي هذا نجد تأكيدًا واضحًا على دور المعطيات اللغوية في توجيه القول ومنحه قيمة حجاجية تجعلنا نعترف بمفهوم الحجاج في اللغة على أنّه "إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[21]، ومن هذا يكتسي القول الحجاجي تداولية واسعة تهتم بجميع ملفوظات المتكلم التي يُلقيها للمتلقي بهدف إقناعه وفق ما تتيحه اللغة، في تراتبية وتنظيم داخل سلم حجاجي "شرط أن لا تكون معزولة عن المحددات البلاغية والعقلية والسياقية التي يُتوصل بمقتضاها إلى النتيجة المقترحة"[22].

وبهذا يكون السلم الحجاجي مبحثًا تداوليًا نسعى من خلال مقاربته إلى إبراز وظائف مختلف المعطيات اللغوية وغير اللغوية المساهمة في تحقيق الوجهة الحجاجية للحجاج، فلا يمكننا عزل البنى اللغوية عن جانبها التداولي الذي صيغت فيه، بل إنّ عزلها يمنعنا من إظهار القيمة الحجاجية للغة، والذي ينبغي أن يحكمه تنظيم الحجج للنظر في معيار التفاوت في درجات قوة وضعف الحجج على سلمية تجمع بين الحجة الأكثر قوة والحجة الأكثر ضعفا. والبنى اللغوية تمثل الفيصل والمعيار في التراتبية كونها تتضمن قيمة حجاجية تعمل على توجيه الخطاب وجهة حجاجية، وما يحقق هذه الوظيفة ما تقدّم به ديكرو من مؤشرات صنّفها إلى آليتين هما:

1/ الروابط الحجاجية "les connecteurs":

ممّا لاشك فيه أنّ الوسائل اللغوية تلعب دورًا جوهريًا في ترابط بنية الخطاب، ومن ثمة توجيهه للمتلقي سعيًا لإقناعه والتأثير فيه، ومن ضمن هذه الوسائل "الروابط الحجاجية" التي تعني"ما يربط بين وحدتين دلاليتين، وترتب درجاتها بوصف موضوع الحجاج في الخطاب، وهي عند المناطقة تسمى أداة، وتعرّفُ عندهم بأنّها لفظ لا يدل بحد ذاته على أيّ معنى، وإنّما من طبيعته الربط فقط بين الألفاظ المختلفة؛ لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها"[23].

ونلحظ من هذا أنّ وظيفة الربط داخل السلم هي إدراج الحجج إضافة إلى تحقيق الوظائف الحجاجية التي تسعى اللغة لإبرازها، كالتوصل بالمتلقي للإقناع، وتتجسد هذه الروابط في لغتنا العربية في أدوات الاستئناف (الواو، الفاء، لكن، إذن...)[24] ولكل رابط دوره الفاعل في العملية الحجاجية يعمل على تحقيقه، وكذا دوره في تصنيف الحجج من قوتها إلى

ضعفها وفق قوانين السلم، وبهذا يمكن تعريفه بأنه "صرفة تُمفصل عبارتين فأكثر أو فعلين لغويين فأكثر، ضمن استراتيجية وحيدة"(25)؛ بغية تحقيق وظائف الحجاج.

2/ العوامل الحجاجية "les opérateurs":

لا تربط العوامل بين المتغيرات الحجاجية كما تفعل الروابط؛ وإنّما تقوم ب"حصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تُكوّن لقول ما"(26)، وتُعتمد العوامل في كلّ خطاب نظرًا لدورها الحجاجي الفاعل الذي تنهض به فهي "تشكل شبكة من المواضيع التي تمثل مسارات حجاجية ينبغي اتباعها لبلوغ نتيجة ما"(27)، ونجدها في لغتنا العربية متنوعة ومتباينة نظرًا لثراء لغتنا، ففيها ما يفيد "الحصر" وما يفيد "التوكيد" وما يفيد "الاستثناء"، وتنوعها وتباينها داخل الخطاب من الواضح أنّه يخدم الحجاج ويعين على توجيهه بالشكل الذي يخدم الحجة المراد إثباتها. ومن هنا يمكن القول بأنّ العامل الحجاجي عبارة عن "صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانيات استعمالها لغايات حجاجية"(28).

نستشف ممّا سبق أنّ للروابط والعوامل الحجاجية أهمية بالغة في الخطاب، فكلاهما يعمل على تحديد وجهة القول الحجاجية، فعلى مرسل الخطاب أن يعرف معرفة حقة أوجه استعمالها بوصفها معطيات لغوية فاعلة حجاجيًا.

أهمية المقاربة اللسانية التداولية للسلالم الحجاجية:

تستند التداولية في مقاربتها للخطاب، على مؤشرات في فهم الظاهرة اللغوية باعتبارها قطبا تواصليا، فهذا يعني ضرورة مراعاة أطراف العملية التواصلية، بدءًا من المرسل كونه الفاعل الأول في التواصل مرورًا بالمتلقي ووضعياته قيد التواصل دون تناسي أو غض النظر عن كل ما من شأنه المساهمة في إنجاح التواصل لغويًا كان أم غير لغوي، ومنه نقول أنّ محاولة تفسير التواصل من منظور تداولي يستلزم الإلمام بالظاهرة اللغوية كونها بؤرة التواصل ووسيلته وعمدته أولا، ومن ثمّة النظر في شأن بقية معطياته كونها عناصر فاعلة لتحقيقه.

ولمّا أنْ كانت اللغة المَرصد الأهم من منظور تداوليّ حجاجي وجب الخوض في ملابسات تلك البنى اللغوية التي تحمل سمة الحجاج في ذاتيتها وكيفية نظمها، وتراتبها، ومعرفة القوانين التي تضبط ذلك الرصف؛ أي الاهتمام بالسلالم الحجاجية التي تتشكل بما تتيحه اللغة من روابط وعوامل حجاجية، ومن ثمّة إنجاح التواصل، فالسلالم تسعى في مقاربتها لغة الخطاب إلى إظهار قيمته الحجاجية إلى أبعد مستوياته تدقيقًا بغية إذعان المتلقي والتأثير فيه.

ولتبيان هذه الأهمية، ارتأينا تجسيد هذه المفاهيم النظرية تطبيقيا على بعض النماذج على سبيل التمثيل لا الحصر، من مدونتنا المعنونة بأطواق الذهب في المواعظ والخطب، وقد خصصنا محل دراستنا للسلالم الحجاجية الموجودة في هذه المدونة.

ثريّة هي المواضيع التي تناولها الزمخشري في مؤلفه هذا، وما نلحظه ذلك البناء اللغويّ المحكم المعبّر عن أفكار زهدية رائعة تعتمد قوة الحجة والتأثير، وفي تحريره لهذه الخطابات عمد الزمخشريّ إلى حسن ترتيبها بما جادت به أنامله، ليشكّل لنا بذلك سلميّات حجاجية نبحث في تراتبها ودرجة قوتها.

مصداقا للقول المأثور "العلم نور والجهل ظلام" سعى العارفون منذ الأزل إلى الاهتمام بالعلم، وتبيان فوائده والتحذير من الجهل ومضاره، وها هو الزمخشريّ من بين المناشدين بعظمة العلم، حيث يولي أهمية بالغة لهذا الموضوع فيخصه بالكتابة في مقامة عنونها بـ"رفعة الإنسان بعلمه وتقواه" إذ دعمها بحجج تدافع عن ضرورة رقيّ الإنسان بعلمه وتقواه لا بجهله وجوره، وذلك في ترتيب سلّميّ يدرج ضمنه حججه الهادفة لإقناع متلقيه وقد ورد حجاجيا على النحو التالي:

الحجة الأولى: يُصرح الزمخشريّ أنّ ما من حياة للمرء دون علم، فلابد أن يكون أقرب الأشياء إلى أنفسنا، ولا شيء أقرب للمرء من والديه، وعليه يصور لنا العلم على أنّه كالأب فمكانة الأب عظيمة جدا في قلوب أبنائه فهو المسؤول عنهم وراعيهم، كذلك العلم هو راعٍ للمرء وحامٍ له، فقوله: **"العلم هو الأب"**[29] هي حجة صريحة تضفي على الخطاب الانتباه وتشد القارئ لما سيأتي بعدها من تصريحات، ولا ريب من أنّ تمثيل شيء عظيم كالعلم بمقام شخص عظيم كالأب له أثره الواضح في حجاجية هذا الخطاب وفاعليته، ذلك أنّ هذه الحجة نُصنّفها الأولى سلميّا فهي جدة بنائية تحمل قوة حجاجية تسهم في تصعيد الحجج للتوصل إلى نتيجتها.

الحجة الثانية: تنبني الحجة الثانية على سابقتها لتشكل بذلك تصعيدا في قوة الحجج ودرجات تأثيرها، إذ يقول **" بل هو للثأي أرأب"**[30] تتضمن هذه الحجة عاملا حجاجيا هاما له دور بارز في توجيه الحجج وإظهار قيمتها، ويتمثل في العامل "بل" والمعروف أنه: **"أداة إضراب، فإن تلتها جملة كان معنى الإضراب إمّا الإبطال، وإمّا الانتقال من غرض لآخر"**[31] وهنا وردت كأداة إضراب للانتقال من غرض لآخر، إذ لم يكتف الزمخشري بجعل العلم أبا بل وراح يعدّه إصلاحا لكلّ شيء فاسد فأينما كان العلم حلّ الصلاح، فإذا كانت الحجة الأولى تمثل قوةً للسلم فإنّ هذه الحجة تمثّل إضافة إلى القوة توجيها حجاجيا يلعب دورا هاما في بناء السلّم الحجاجيّ.

هذان حجتان هما عبارة عن الجزء الأول من السلم، إذ خصصه الزمخشري للحديث عن العلم أمّا الجزء الثاني فمحوره التقوى، فحجج التقوى تعتبر شرطا حجاجيا للتوصل لنتيجة حجاجية تجمع بينهما.

الحجة الثالثة: نلاحظ أنّ "العلم" لفظ مذكّر اختار الزمخشريّ أن يجعله أب، و"التقوى" لفظ مؤنث لم يخرج في تمثيلها عن محورا الأسرة، فجعلها "الأم" فقال في حجة صريحة: **"والتقوى هي الأم"**[32] فمكانة التقوى عظيمة في حياة العبد كعظمة الأم في تواجدها، ونلاحظ في هذه الحجة بدؤها بالرابط الحجاجي "الواو" والذي نهض بدور هام إذ عطف لنا مكانة العلم على مكانة التقوى في ترتيب تصاعديّ للحجج لإثبات نتيجة حجاجية نتوصل إليها عبر هذا التصعيد في السلمية. وهو تصعيد متواصل عبر مختلف البنى اللسانية التي تبرز لنا قوة السلّم الحجاجي في خضم الخطاب ويوضّح لنا المسعى الذي يعمل الزمخشريّ على تحقيقه. لهذا نجد الحجة الموالية امتدادا لهذه الحجة وتدعيما لفكرتها وهو ما سيأتي بيانه.

الحجة الرابعة: يبدو أنّ الزمخشري يُظهر لنا فنيات توظيفه للبنى اللغوية الحجاجية التي من شأنها تقريب المعاني وتحديد منحاها ونقصد بذلك تعمده الموازنة في وصف العلم والتقوى فقد وظّف في الحجة الثانية المتحدثة عن العلم الرابط الحجاجي "بل" وهو الأمر عينه الذي وظّفه في قوله في سياق حديثه عن التقوى **"... بل هي إلى اللِّبان أضم"**[33] وهي حجة أقوى معنويا من سابقتها رغم أنّها امتداد لها، حيث لا تمثل التقوى الأم فحسب بل هي أنفع من اللبن الذي يرضعه الرضيع وهو في أمسّ حالات جوعه، هذا التصوير يجعلنا نؤكد على أهمية التقوى وفائدتها، وهذا ما سعى إليه الرابط الحجاجي "بل" في إيصاله وبث الفاعلية في هذه السلّمية ممّا يشكل إقناع القارئ بحقيقة هذه الفكرة. نلحظ التزايد المستمر في سيرورة هذه الحجج.

الحجة الخامسة: كان لزاما أن نجد نتيجة حجاجية بعد هذا التسلسل الحجاجي المذكور آنفا فقد أقر الزمخشري بعد تصريحاته (المتمثلة في الحجج الأربعة) بنصيحة أمرية صريحة تثبت لنا نجاعة كلامه وتتمثّل في: **"فأحرز نفسك في حرزهما وأشدد يديك يسقك الله نعمة صيّبة ويحيك حياة طيّبة"**[34] إنّ هذا الكلام هو نتاج لما قبله من الحجج لا يخرج عنه، إذ أوضح لنا صاحبه أن العبد إذا ما توطّد طريق العلم بتقواه سيصل لا محالة إلى نعم الله ويرزقه طيب العيش، وقد وردت هذه النتيجة بفاء الربط الحجاجي التي يلحقها فعل لغويّ أمري موجه للقارئ لتشجيعه على ضرورة تمسكه بالعلم والتقوى ثم يليها على الطريقة نفسها فعل لغويّ آخر "وأشدد" ولكن مطلعه الرابط اللغويّ العطفيّ "الواو" في إشارة إلى التنبيه على المحافظة على هذا العلم والتقوى في حال التحصل عليهما وبهذا تكون السلّمية قد أخذت

وتيرتها من تصاعد الحجج للتوصل إلى مثل هذه النتيجة التي تذعن ذهن القارئ وتشد انتباهه حتى يدرك قيمة العلم والتقوى.

ويمكننا فيما يأتي تشكيل سلمية لهذه الحجج في الشكل الآتي:

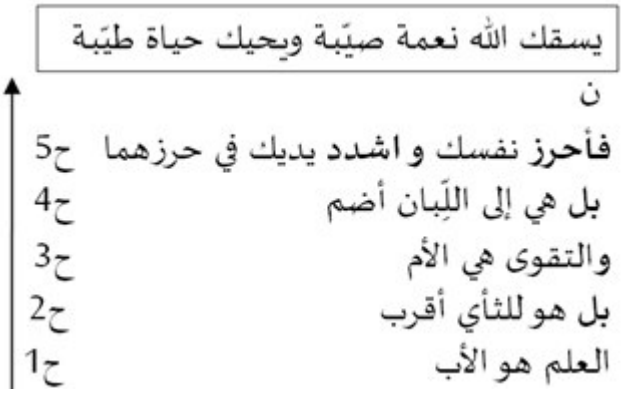

نلاحظ من خلال الشكل أعلاه تصعيد الحجج وتراتبها بواسطة بعض العوامل الحجاجية المتمثلة في الأداة "بل" في الحجة (ح2) و (ح4) وكذا بعض الروابط المتمثلة في "الواو" في (ح3، ح5) والفاء في (ح5) وقد سار السلم بمنحى حجاجيّ متميّز حقق من خلاله فاعلية في قوة هذه الحجج للتوصل إلى النتيجة الحجاجية والتي تعتبر غاية سامية أقنعنا بقيمتها الزمخشريّ.

ما نلاحظه في عموم خطابات الزمخشريّ في هذا المؤلف كثرة النصح والإرشاد الواردين في مختلف المواضيع، وهذا مرده إلى زهد الكاتب حيث يظهر لنا ذلك في سموّ أفكاره ومعالجتها بما يتناسب وذهن القارئ الذي يكتب له، فلا تخلو خطاباته من فائدة، وتجدر الإشارة إلى أنّ المواضيع المتناولة تصب جميعها في الجانب الأخلاقي الذي يستوجب على العبد الانضباط فيه والمحافظة عليه، كما هو الحال في معالجته لموضوع "العبادة وكيف على العبد الاجتهاد في تحصيلها" طاعة للخالق إذ سعى الكاتب إلى ترتيب كلامه المعبّر عن فكرة العبادة في شكل سلّمية نعمل على مقاربتها تداوليا للوقوف على أهم الوسائل اللسانية التي أسهمت في تصاعد حججها وتفاعلها وهي كالآتي:

الحجة الأولى: أخذ موضوع العبادة حيّزا وافرا ممّا كتبه الزمخشري في هذا المصنّف وقد أتت خطاباته جميعها معنونة بأفعال لغوية أمرية الغاية منها النصح والتوجيه، كما هو الحال في هذه المقامة التي عنونها ب" اجتهد في عبادتك" حيث راح يفصل في سبب هذا النصح، إذ يفتتح المقامة بحجة هذا نصها: **"خلِّ الونى، ودعِ الهوينا"**[35] وهو كلام أمريّ صريح كمقدمة حجاجية لما سيأتي من حجج يواصل فيها طرح هذه الفكرة ونلمس أنّ نصحه بالفعل "خلّ" هو

دعوة إلى ترك الكسل والتهاون في إقامة العبادة، يبدو أنّها حجة تستوجب الاطلاع على ما بعدها كونها تبعث بفاعلية في بناء بقية الكلام كما تبعث بتأثير واضح ولفت لانتباه القارئ خصوصا أنّ الكلام موجه له مباشرة بصريح العبارة لا بغموضها.

الحجة الثانية: إنّ الحجة الأولى تجعلنا نطرح السؤال لماذا هذا التوجيه الصريح والنصح المباشر للعبد بترك الكسل في عبادته؟ يظهر أنّ إجابة هذا التساؤل هي ما تتضمنه الحجة الثانية التي تحمل بدورها طاقة حجاجية تضفي التصاعد على السلّم حيث قال: **"فالأمر ممّا تتوهم أهم، والخطب ممّا تُقدر أطم داعٍ للموت صيّتٌ"**[36] لو نتمعن هذه الحجة بدقة لنجدها تحمل لنا جوابا للسؤال الذي خلقته الحجة الأولى، فهي حجة مبنية على الأولى يظهر التفاعل الضمني بينهما في البحث في حيثيات معانيهما، إذ لابد للمرء أن يجتهد في عبادته ويترك عنه الكسل والتهاون فيها لأنّ عاقبة الأمر ليست بالهينة فالموت طارق ببابك أيّها العبد وهي كأس الكل شاربه إذ أنّها لا تنتظرك حتى تستقيم في عبادتك وتجتهد في تحصيل حسناتك بل إنّها تدق بابك في أيّ لحظة وعليك أن تكون على قدر من العبادة لأجل استقبالها... إنّ معنى هذه الحجة يساهم كثيرا في إبراز فاعليتها في السلّم حيث بدأت بالرابط الحجاجي "الفاء" الذي كان له دور تفسير الحجة السابقة بحجاجيةٍ أكثر قوة في الجزء الأول من الحجة إلى جانب توظيف الرابط "الواو" في شطرها الثاني المرتبط حجاجيا بالأوّل، فجاءت الحجة قويّ مفسرة لما قبلها بنائية لما يأتي بعدها.

الحجة الثالثة: يواصل دوما الزمخشري تقديم حجج يشرح ويؤكد ويجيب فيها على الحجة الأولى التي نعتبرها مركزية في هذه السلّمية، وهذه المرة يُصرّح: **"وحيٌّ لا محالة ميّتٌ"**[37] فالموت مصير الإنسان وعليه أن يعُدّ عدّته للرحيل إليها، فلا هروب منها، إنّ التذكير بالموت هو تحفيز للاجتهاد في العبادة والعمل على تحصيلها، وهذه حجة مبنية على حقيقة العبد وبناؤها في هذه السلّمية يجعلها تكسب الحجج التي قبلها تصعيدا وتُكسب ما يأتي بعدها فاعلية.

الحجة الرابعة: يستند الزمخشريّ في هذه الحجة إلى مسلّمات في ديننا الحنيف وهي مصير الإنسان بعد الموت فلم يكتف بتذكيره بالموت فحسب بل تعدى ذلك إلى ما بعدها وهو ما عبّر عنه ب: **"وميّت منشور، وخلق محشور، وعمل محسوب، وميزان منصوب، ومُجازٍ قادرٌ، وكتاب لا يغادرُ، وثوابٌ وكلّ راجي، وعقابٌ وقلّ الناجي"**[38]. وكلّها حجج متزايدة القوة مترابطة حجاجيا بواسطة المعاني المشتركة بينها فهي استرسال يروي مصير العبد بعد موته ويصف بعض تفاصيل يوم الحساب إذ يحاسب العبد على كل أعماله المدونة في كتابٍ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة بميزان عادل فيُجازى ويُثاب صاحب الحسنات الذي اجتهد في عبادته، ويعاقب صاحب السيئات الذي يرجو النجاة، إنّ التوظيف المتناسب لرصف هذه الحجج ولّد التصعيد

القويّ في السلّمية مما أكسبها ذروة القوة في المعاني بفضل الرابط الحجاجيّ المتكرر بكثرة "الواو" الذي أوصلنا إلى النتيجة الحجاجية التي أراد الزمخشري إقناعنا بها وهي ضرورة الاجتهاد في العبادة فهي منجاة من العذاب.

يمكن التمثيل لما تم عرضة من الحجج بالمخطط السلّمي الآتي:

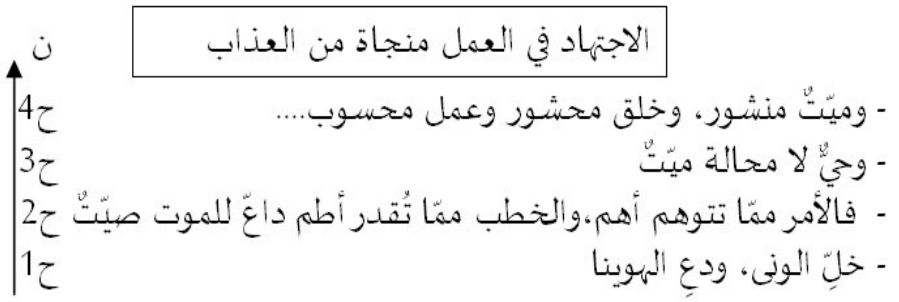

يظهر أنّ السلم أعلاه ثريّ بالحجج التي أسهمت في بنائه بناء متماسكا من حيث الفكرة التي يعالجها الكاتب من جهة ومن جهة ثانية من حيث توظيفه للبنى اللسانية التي تمكّنّا انطلاقا منها من مقاربته تداوليا. فهي رسالة أراد الزمخشريّ إيصالها باستغلال العبد وقته في الطاعات والاجتهاد في العبادة التي هي منجاة له يوم العقاب. وهي رؤية زهدية رائعة تؤثر في القارئ وتجعله مقتنعا بضرورة تحقيق ذلك.

كما سبق الذكر آنفا أنّ المواضيع التي تناولها الزمخشري في هذه الخطابات ترمي جميعا إلى النصح والإرشاد والتوجيه، وفي الموضع الآتي بيان لترتيبه حججا تتناول موضوع المحافظة على الفرائض والسنن والآداب بهذا الترتيب وعلى النحو التالي:

الحجة الأولى: في حديثه عن العبادات ضمّن الزمخشري خطابه بحجج نراها تتناسب والمقاربة التداولية التي تسعى لاستقرائه وبيان غاياته وإظهار مواضع قوة الحجة وترابطها، وهو الأمر الذي نرصده حينما وجّه نصحه للمستمع فقال: **"في إقامة فرائض الله فجاهد... ولا يلفتنك أنّ الفرائض لها الفضل عند التفاضل، ... ولها الخصل يوم التناضل"**[39] فالفرائض المشروعة في ديننا الحنيف واضحة، مصدرها القرآن الكريم، تمثل هذه الحجة الحجر الأساس الذي تنبني عليه بقية الحجج ذلك أنّ لها الأحقية في تصدُّرها أول الكلام لما تحويه من شرح لمنزلة الفرائض فهي الأولى للعبد أن يحافظ عليها فهي تمنحه فضل التفاخر وقطعية الدليل في المواقف التي تستدعي ذلك فهي تمثل الغلبة والنصر في معترك الأقوال، وهو ما يدعو إليه الكاتب بأمر المتلقي بالفعل اللغوي الأمريّ التوجيهي "فجاهد" والقصد منه تنبيهه على ضرورة العمل بما جاء في الفرائض...، يعمل الرابط "الواو" بفاعلية في هذه الحجة وهو ما جعلها تبلغ درجة عالية من القوة الحجاجية.

الحجة الثانية: يسعى الكاتب إلى إيضاح الترتيب فيما يجب على العبد المحافظة عليه من أولويات حياتية فبدأ بالفرائض وها هو الآن يلحقها بالسنن النبوية في حجة ثانية مبنية على سابقتها هذا نصها: **"وعلى سنن الرسول صلى الله عليه وسلّم فعاهد، ... عن أن تكون معتدا بالسنن، معتقدا أنّها من الجنن.."**[40] يؤكد لنا الزمخشري ضرورة الأخذ بما وُجد في السنن والاعتماد على ما ورد في سنة نبينا الأكرم، إلى جانب ما تقدم بيانه من الأخذ أولا بالفرائض ثم السنن في حالات التفاضل والمناقشات فهي مصادر مرتبة ينصحنا بها الزمخشري للتوصل إلى الظفر بالرأي وتبيان الحق وإن اعتمدها العبد على الوجه الصحيح سيحقق فلاحه، لقد وضح لنا ترتيب المصادر المعتمدة للاستشهاد والتدليل في المواقف التي تستدعي ذلك، وعلى شاكلة ما ورد في الحجة الأولى يعيد الفعل اللغوي التوجيهيّ "فعاهد" فهو أمر إرشاديّ أضفى بعض التوازن في قوة الحجتين اللتين تتصاعدا حجاجيا على وتيرة قويّة تجعلنا نبحث فيما يأتي بعدهما.

الحجة الثالثة: ونراها جامعة لسابقتها حيث تتضمن ما يستوجب أن يكون في كل حجة مما سبق ونقصد بذلك "الآداب" فلا يمكن تحقيق الاجتهاد في إقامة فرائض الله ولا الاعتداد بسنن نبيّه دونما آداب. وهو ما يقوله الزمخشري **" متنسكا بالآداب، متمسكا منها بالأهداب، متماديا في أخذها، متفاديا عن نبذها،..."**[41] تمثل الآداب القاعدة الأولى والشرط الأهم لتطبيق الفرائض وتحقيق النفع من السنن فبين المحاور الثلاثة (الفرائض، السنن، الآداب) علاقة تكاملية التزاميه لا تتحقق منافع الواحدة فيها دون الأخرى.

إنّ تراتبية هذا السلم تجعلنا نقر بأنّ الكاتب جعلها ناجحة وذات قيمة حجاجية بارزة حينما بدأها بفرائض الله ثم سنن نبيه الكريم وربطهما بالآداب، وفيما يأتي مخطط سلّمي لتراتبية هذا السلم.

- في إقامة فرائض الله فجاهد ح1
-وعلى سنن الرسول صلى الله عليه وسلّم فعاهد ح2
-متنسكا بالآداب،متمسكا منها بالأهداب،متماديا في أخذها،متفاديا عن نبذها ح3

الحث على القيام بفرائض الدين، والالتزام سنن النبيّ والتأدب بآدابه. ن

يتضح لنا من خلال هذا المخطط أنّ (ح1) كانت الأقوى في بناء هذا السلم لما تحمله من قيمة حجاجية متعلقة بقوة الفكرة التي تؤكد ضرورة القيام بفرائض الله، وتليها (ح2) التي تكمل الأولى وتقويها بفاعلية حجاجية كان أثرها واضحا في النتيجة المتوصل إليها.

خاتمة:

بعد هذا البحث الوجيز في بعض السلالم الحجاجية التي تتضمنها مقامات الزمخشري، توصلنا إلى بعض النتائج نوجزها فيما يلي:

_ العامل الحجاجي "بل" كان الفاعل الأكثر في ترتيب حجج الزمخشري، وبه تمكن من تغيير إثبات الفكرة حجاجيا، ومنه تمكن من التوصل بالمتلقي إلى النتيجة المنشودة.

_ الاعتماد على الوسائل اللغوية في خطابات الزمخشري كان له الأثر الواضح في ترتيب حججه ورصفها في شكل يتناسب تداوليا والسياق المطروحة فيه.

_ تشكل الإقناع عند الزمخشري تعددت وسائله اللغوية وتباينت منطلقاته الفكرية والسلم الحجاجي من الوسائل اللغوية التي أسهمت بقوة في تحقيقه.

مراجع البحث وإحالاته:

1 - أبو بكر عزاوي، الحجاج في اللغة، من كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، 2010،ج1، أربد،ط1، 2010،ج1، ص57 وكتابه اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006، ص14.

2 - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص57.

3 - ينظر، محمد السالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008ص192.

4 - أبو بكر عزاوي، الحجاج في اللغة، ص57.

5 - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2008ص33.

6 - الحباشة صابر، التداولية والحجاج مداخل ونصوص صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008، ص21.

7 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر ، د.ط،1979 ص 91/90.

8 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الوطنية، ط4، 2004، ص 446.

9 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص277.

10 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص277.

11 - المرجع نفسه، ص277.

12 - عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2001، نقلا عن:

Reboul a et moeshler j :dictionnaire encyclopédique de pragmatique, éd de seuile, 1994, p277.

13 - نفسه، ص122.

14 - ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 278.

15 - ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص22.

16 - ينظر، طه عبد الرحمن، ص278

17 - ينظر، المرجع نفسه، ص23.

18 - ينظر، نفسه، ص277.

19 - ينظر محمد السالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص194.

20 Oswald Ducrot, les échelle argumentative,p15

21 - أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 16.

22 - محمد السالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، صص 194 195.

23 - ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص508.

24 - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص112.

25 - شكري المبخوت نظرية الحجاج في اللغة من كتاب أهم نظريات الحجاج من التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف، حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس1، صص 376 377.

26 - أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27.

27 - شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص377.

28 - محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص112.

29 - جار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (الزمخشري)، أطواق الذهب في المواعظ والخطب، تح: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د.ت، د.ط، ص53.

30 - نفسه، الصفحة نفسها.

31 - ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب من كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ط، 1992، ص130

32 - أطواق الذهب في المواعظ والخطب، ص53.

33 - أطواق الذهب، ص53.

34 - أطواق الذهب، ص53.

35 - أطواق الذهب في المواعظ والخطب، ص72.

36 - أطواق الذهب، ص74.

37 - نفسه، ص74.

38 - نفسه، ص74

39 - أطواق الذهب، ص 117.

40 - نفسه، الصفحة نفسها.

41 - نفسه، الصفحة نفسها.